البنى المتحولة في الخطاب القرآني الفعل (أبى)
أنموذجا دراسة أسلوبية

د. ساجدة عبد الكريم خلف
جامعة تكريت / كلية التربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد(ﷺ).

وبعد، إذا أردنا الوصول ألى حقيقة ما، وجب علينا تتبع الجذور الأولى لها،وهذه الحقائق كلها منطوية تحت أنساق تركيبية منسقة تنسيق فني مقصود،لان التعبير القرآني تعبير فريد في علُوهِ وسمُوهِ وإنه أعلى كلام وأرفعه ؛ ننطلق من هذا المبدأ مرتكزين على أساس أن القران مضمون متحول الى شكل. ولكي نصل إلى ذلك المضمون وجوهره،علينا أولاً أن نحلل ذلك الشكل أسلوبيا .

هناك أنساق متشابهة متماثلة من حيث الشكل الخارجي او من حيث المعنى، فإن وردت بنية مشهد ،يسرد حدث واحد– من منظور إلهي –وتردده هذا لمحاً أشارياً مكثفاً،ثم يذكره في مشهد آخر بعد فترة او في سورة أخرى وبتفاصيل جديدة مضافة –لغرض الإثبات والتوكيد– يكون هذا التكرار بالاسترجاع ،أي آيات مسترجعة لما ذُكرَ مسبقاً– لمحاً –هذه الإضافات رسالتها(تفسيرية) وصفُية بإعطاء تفاصيل أكثر للمشهد.

لكن إذا تكرر المعنى للمشهد نفسه بألفاظ مختلفة كلياً،هذا ما يسمى بالتردد،وبالتالي تكون رسالته (تذكيرية)،وهذه المشاهد كلها تكرار لما سيقع مرة واحدة،ولما وقع مرة واحدة، وما يبعده عن الملالة لدى الملتقي انه كل مرة يرد بشيء جديد وبحلة جديدة وينظر للمشهد من زاوية مختلفة مفسراً مرةً ومذكراً أخرى، اذ يرد بلغة تصويرية صوتية دالّة ،لايحُدها زمان ولاتتأثر بمكان ذات معانٍ نفسية ،المهم إنها جميعاً وبكل تحولاتها واسترجاع وترددها هدفها واحداً،وهو **(الإيمان بوجود الله**

ووحدانيته وطاعته) هذا الهدف محكوم بمنطوقات ثلاث: **(الجانب الحسي)** الذي يعكس مدى تأثر النفس البشرية لأنها عند التأثر تحاف وتنصاع، هذا الانصياع ينعكس على العقل فيأتي دور(**المنطوق العقلي)** الذي بدوره يحتاج الى أدلة وحجج وبراهين مسندة تتم بـ((**سداد الوحي**)) هذه الاسترجاعات والترددات تنور العقل البشري وتعطيه سعة في الوصف والتفكير والتأمل والتدبر، لكشف المضامين والدلالات التي تنطوي عليها تلك الانساق، فيعطي أكثر من جواب وأكثر من تفسير ليتحقق الوعي التام بتلك الحقائق ويتحقق التقرير والتوكيد واستمرار التذكير.

عملنا الأسلوبي لايكتفي برصد البنى المضافة للنسق القرآني وحسب، وإنما يحلل لماذا هذه الجزئيات المضافة على هذا النحو بالذات ؟ وما هي فاعليتها؟ وسبب مجيئها هنا وعلى هذه الصيغة؟ هذا التحليل الأسلوبي يعطينا حرية عمل اوسع لغوياً وأسلوبياً في التعامل مع المشهد والبنى التركيبية المكونة لها ، السابقة والجديدة فأمر رصد تلك البنى يتم بالمقابلة بينها ورصد وظائفها وما ينتج عنها من ثراء دلالي بمعالجة كافة المستويات الأسلوبية دفعةً واحدةً وبطريقة كلية ليكون العمل بالنهاية وليد زمن واحد.

لذا ستنطوي المستويات الأسلوبية بين ثنايا الحديث عن الانساق المختارة- تركيبياً وصرفياً ودلالياً وصويتاً- بتلاحم دون فصل، على اعتبار انَّ النسق القرآني هو نقطة البدء ، لا الجزء التركيبي للمفردات ،فعملنا سيكون محصلة لوشائج من العلاقات الخارجية والداخلية، وسنأخذ شاهداً من الشواهد القرانية –الكثيرة- يتضح في نسقه التشابة التركيبي لبنية مشهد واحد يروي قصة إبليس ورفضه السجود لآدم،ومعصيته لأمر الله عز وجل ،ويتمثل في قوله تعالى ﴿ **إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾ طه (١١٦).

هذا المشهد الرئيسي الذي سنسترجع عليه بقية السور لما فيه من تكثيف للمشهد القراني تحولات هذا النسق جزئية تتم بالإضافة او باستبدال بنى مضافة بأخرى جديدة تعطي تصوير فني جديد يضيف شيء. ورد هذا المشهد القرآني سبع مرات، فلا نقول تكرار بل صورته فأنت مسترجعة لمشهدٍ واحد بأنساق متجددة وبحسب ما يمليه السياق العام لكل سورة، ذلك السياق الذي لسنا بمعزلٍ عنه.

وموضوع البحث فيه من التميز والتجدد الشيء الكثير،حيث أننا لانفق إزاء مشهد يتردد بصورة مختلفة يحمل المعنى نفسه ،بل مشهداً واحداً يرد سبع مرات ببنيته الثابتة المكثفة، ولكن بإضافة بنى جزئية او كلية جديدة للمشهد الرئيسي الضابط(**الأنموذج او المثال**).

١- الآيات التي ورد فيها الفعل (أبى) :

١- ﴿**إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾**البقرة٣٤**

٢- ﴿**فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾**الحجر{٣١}.**

٣- ﴿**فسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۞إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**﴾**ص{٧٤}.**

٤- ﴿**إِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾**الإسراء :{٦١}.**

٥- ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾**الأعراف{١١}.**

٦-﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ الكهف{٥٠}.

٣- بين يدي السور :

لنأتي اولاً الى البنية الضابطة التي سندرس الآيات المسترجعة أليها، مرتكزين عليها باعتبارها الآية التي كثفٌ فيها المشهد القرآني كلها، دون أي زيادة والتي اشتملت على الفعل (أبى) ذلك الآباء الذي جاء في سورتي (البقرة ،والحجر) صراحةً ،وفي باقي السور ضمناً ، لنبين الوظيفة التي جاء بها(أبى) من خلال تفسير دلالات الاية وما اشتملت عليها من مضامين تقودنا وتأخذنا إلى طرح الأسئلة والاستفهام على ذلك الرفض وذلك الاستعلاء من قبل إبليس، لنتدبر الآية اولاً وننطلق من سورة (طه) الى بقية الآيات ،علنا نكشف هذه الرسالة الى الإنسانية ،هل هي(تذكيرية) تمت بعملية التردد والتكرار ام هي(تحذيرية) لبني البشر؟ وما هي إيحاءات النص؟ .

هذه الرسالة تحمل بين طياتها: أنت يا إنسان لقد كرمك الله تعالى حتى امر جميع الملائكة ليسجدوا لك، وسخرَّ كل هؤلاء لك ولخدمتك فلما الدعوة بالسجود للإنسان ،لما الإنسان بالذات!؟ .

امر الله يجب ان لايعصى ،وتكون طاعة الله مطلقة ،لكن إبليس عصى امر به فقرنت معصيته بالفسوق، فلما فسقَ؟ وخرج من امر ربه دون حياء؟ .

في تلك الآيات التي اوردناها والتي تبين آمر الله جل وعلا لملائكته بالسجود لآدم وقد استثنى إبليس ﴿ الاٌ إبليس أبى﴾ أي انه ابى ان يسجد،فذكر عنه هنا ((الآباء)) ولم يذكر (الاستكبار) في (طه) كما انه ذكر (الآباء) في (الحجر) بقوله:﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى أن يكون مع السَّاجِدِينَ**﴾ وهنا يبين معمول(آبى) المحذوف في (طه) رفض السجود اذ صرح به كما صرح في الحجر وكما أشار إلى ذلك في (الأعراف) بقوله تعالى : ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ وذكر في (ص) (الاستكبار) وحده من قوله تعالى :﴿ **إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾ وذكر عنه الآباء والاستكبار معاً في سورة(البقرة)[1].

٣- إضاءات البنية الضابطة (طه)

﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى**﴾ هذه الواو التي بدأت بها الاية من إضاءاتها أنها تكشف بان الآية معطوفة على آية قبلها ،ولأجل هذه المراعاة لم يؤت بهذه القصة معطوفة (بفاء) فيقول مثلاً ﴿ فقلنا للملائكة..﴾ والأصل في الكلام –القصد منه – ان يكون ترتيب ذكر نظمة جارياً على ترتيب حصول مدلولاته في الخارج ما لم تنصب قرينة على خلاف ذلك .

(إذ) فيها غرابة وشيء غير مألوف عند الملائكة ،فهم يسجدون لله تعالى وألان يأمرهم بالسجود[٢] للإنسان ،وبذلك كرّم آدم تكريما[٣]. ويقول القرطبي في (واذ قلنا) ان (اذا ظرف منصوب بمضمر أي واذكر وقت ما جرى من معاداة إبليس ووسوسته أليه، وقال (قلنا) ولم يقل (قلت) لان الجبار العظيم يخبر عنه نفسه بفعل الجماعة تفخيماً واشادةً بذكره)[٤]. والملائكة جمع ملك أمرهم الله جميعاً فأطاعوا، فهذه الهمزة في (إذ) لها دلالة صوتية بما فيها من جهر وشدة وانفتاح توحي بالامر وبواجب الطاعة والامتثال لله تعالى .

إن إبليس كان جنياً بدليل قوله تعالى﴿**كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ**﴾ فمن أين تناوله (الأمر) وهذا الامر للملائكة خاصة؟ .

اذن كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى كعبادتهم ،فلما امرو بالسجود لادم والتواضع له كرامةً له، فكان الجني معهم اجدر بان يتواضع ،كما لو قام لمقبل على المجلس عليه اهله ،وكان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب وان لم يقم عُنفٍ وقيل له، قد قام فلان ،فمن أنت حتى تترفع عن القيام؟ فكيف ثح إستثناؤه – وهو جني –من الملائكة ؟ جواب ذلك انه عمل على حكم التغليب في أطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه، فاخرج الاستثناء على ذلك كقولنا خرجوا الا فلانة لامرأة بين الرجال[٥].

أذن كان متمثلاً لامر الله قبل هذا المشهد ، ولكنه الان رفض وعصى؛ (ابى) جملة مستأنفة كأنه جواب قائل: لِمَ لَمْ يسجد؟ الوجه ان لايُقّدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله(فسجدوا) وان يكون معناه أظهر الآباء وتوقف وتثبط[٦].

٤- البناء الهرمي للآيات المُسترجعة:

ترتيب البنىُ بحسب الإضافات أبتداءا من(طه) الضابطة المختزلة وتمثل قمة الهرم.. وصولاً الى (الكهف) وتمثل قاعدة هذا الهرم لأنها أوسع بنية وأكثر تراكيب.

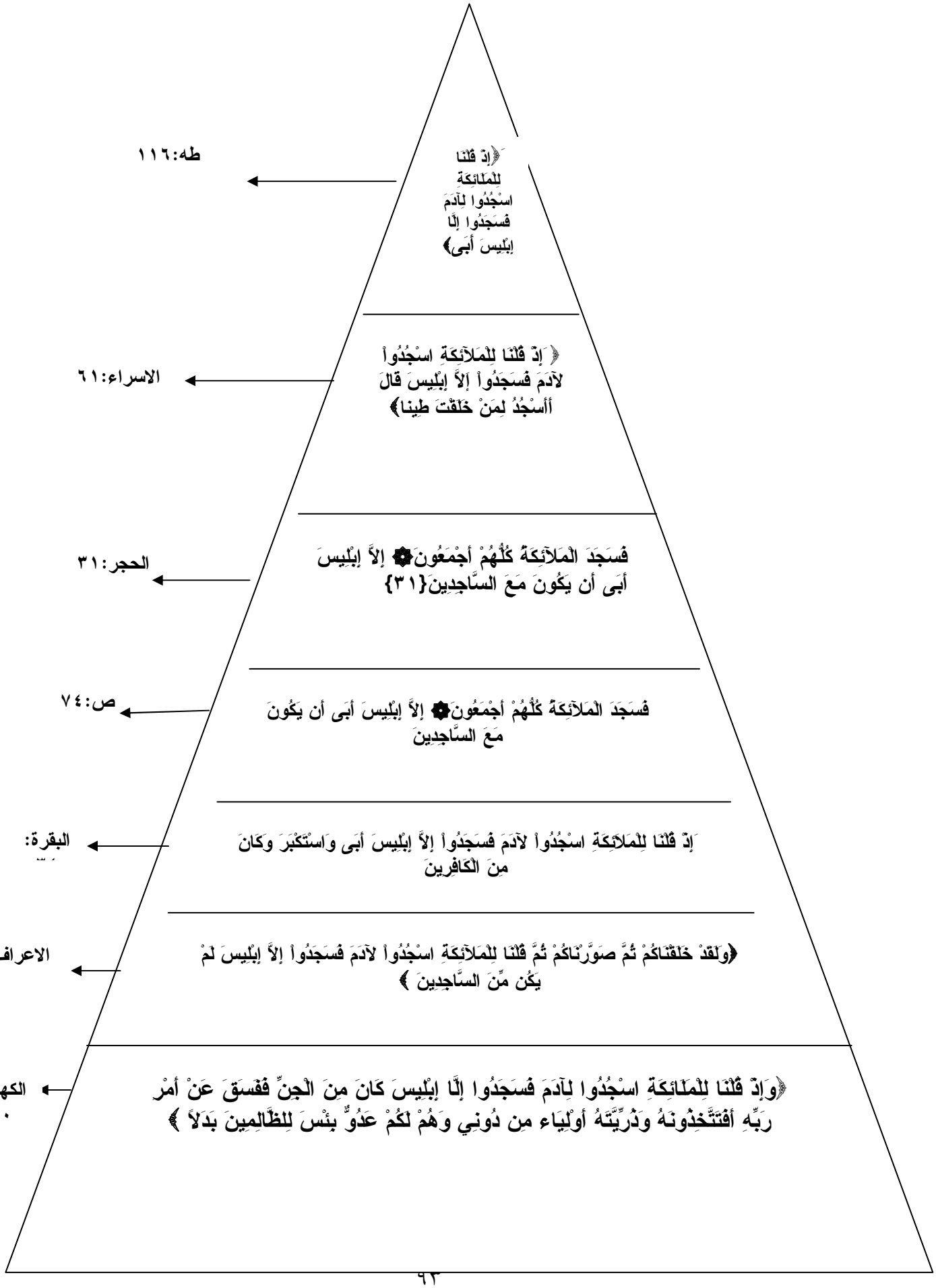
﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾
طه:١١٦
﴿ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا﴾
الاسراء:٦١
فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ{٣١}
الحجر:٣١
فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۞ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ
ص:٧٤
إِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ
البقرة:
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾
الاعراف:١١
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾
الكهف:
٥٠

٥- بنية البقرة :٣٤ واسترجاعاتها :

اشتملت البينة في الاية :٣٤من سورة البقرة على (أبى) و(استكبر) والفرق بينهما ،ان (الآباء- امتناع باختيار،والتكبر- ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره، الاستكبار -طلب ذلك بالتشبع)[٧]،ذلك يتضح في قوله تعالى﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾، **(هذا الكرامة العظيمة من الله تعالى لادم أمتن بها على ذريته ،حيث اخبر انه امر الملائكة بالسجود لادم)**[٨]. هناك التفاتة في اظهار لفظ(الملائكة) ولفظ(آدم) في جميع الآيات -التي سيدرسها البحث -دون الإتيان بضميرهما كما في قوله ﴿**قالوا سبحانك**﴾ وقوله﴿ **فلما أنبأهم**﴾ ذلك كي تكون القصة المعطوفة معنونة بمثل عنوان القصة المعطوف عليها ،إشارة الى جدارة المعطوفة بأن تكون قصة مقصودة غير مندمجة في القصة التي قبلها او بعدها .واسناد القول الى الله (وإذ قلنا) فأتى به مسنداً الى ضمير العظمة ولم يقل **((وإذ قال ربك))** للتفنن ولان القول هنا تضمن أمراً بفعل فيه عضاضة على المأمورين فناسب أظهار عظمة الامر، (اسجدوا) لان أصل السجود طأطأة الجسد او إيقاعه على بقصد تعظيم المشهد للعيان[٩] وتعديه السجود بـ(اللام) لـ(آدم) دال على انهم كلفوا بالسجود لذاته- الى آدم -وهو اصل دلالة لام التعليل اذا علق بمادة السجود؛ معنى ذلك انه(لم يرد بالسجود المعتاد الذي هو وضع الجهة على الأرض وإنما على أصل اللغة فهو من التذلل والانقياد،أي أخطعوا لآدم واقروا له بالفضل)[١٠].

أ- القرائن الساندة للفعل (أبى) في البقرة

هي (الفاء) التعليلية و(الاّ) الاستثنائية ،ان عطف (فسجدوا) بفاء التعقيب والتعليل يشير الى مبادرة الملائكة بالامتثال،ولم يصدهم فكان في نفوسهم من التخوف من ان يكون هذا المخلوق مظهر فساد وسفك دماء ،لأنهم منزهون عن المعاصي[١١].

﴿إلاّ إبليس﴾ استثناء ابليس من ضمير الملائكة ﴿فسجدوا﴾ استثناء منقطع لان(ابليس كان من الجن الذين كانوا في الأرض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيراً وتعبَّد مع الملائكة وخوطب)[١٢]، سائل يسأل تارة يقول الله عز وجل ﴿ **سجد الملائكة كلهم الا ابليس**﴾ استثناه من الملائكة ،يعني انه ملك ، وتارة اخرى يقول﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق**﴾ذلك من قوله عز وجل في سورة الإسراء ﴿ **إلاّ إبليس كانَ من الجنِّ ففَسقَ**﴾ أي ينفي إنه مَلَك !؟ .

جواب ذلك ان دليل الثاني ((إنه من الجن)) ان الملائكة لايستكبرون وهو قد استكبر، كما ان الملائكة خلقوا من نور والجن خلق من مارجٍ من نار[١٣] ﴿**انا خبر منهُ خلقتني من نارٍ وخلقته منْ طين**﴾[١٤] ولكن الله سبحانه وتعالى جعل أحواله كأحوال النفوس الملكية بتوفيقٍ غلب على جبلته لتتأتى معاشرته بهم وسيرة على سيرتهم ،فساغ استثناء حاله من أحوالهم في مظنة ان يكون مماثلاً لمن هو معهم[١٥].

(إبليس) مشتق من الابلاس على وزن(إفعيل) وهو البعد من الخير الندم والخزن واليأس من رحمه الله[١٦]، وجملة ﴿**أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾إستئناف بياني مشير الى مخالفة حالهُ لحال الملائكة في السجود لآدم،شانه ان يثير سؤالاً في نفس السامع ،كيف لم يفعل إبليس ما امر به؟ وكيف خالف حاله جماعته؟ وما سبب ذلك؟ لان مخالفته لحالة معشرة مخالفة عجيبة إذ الشأن الموافقة بين الجماعات [١٧].

﴿الاباء﴾ يعني الرفض والامتناع من فعلٍ او تلقيه،أي انه امتنع تظهر من الداخل فهي نزعه داخلية عند الانسان ،لكن هذه النزعة بسلوك متعدد بشكل إستكبار وعدم طاعة ،أي رفض باستعلاء وانفة ،وهي جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو ﴿الاستكبار﴾ وعلى هذا لايقدر له مفعول مثل السجود والمدلول عليه بقوله ﴿فَسَجدَوا﴾ لان المعنى أظهر الاباء عن المطاوعة[١٨].

اما ﴿الاستكبار﴾ شدة الكبر والـ(السين والتاء) فيه للعدّ أي عدَّ نفسهُ كبيراً مثل: استعظم الشراب او تكون السين والتاء للمبالغة مثل: استجاب واستقر ، فمعنى (أستكبر) أتصف بالكبر ،وذلك ما اوحته دلالة الحروف وأصواتها ،فالصوت طابق دلالة المعنى، وشيء آخر ،ان فسحة الاستكبار والأنفة والاستعلاء في (استكبر) خارجي ،أي نزعة الامتناع بشموخ ظاهرة[١٩]، والسين والتاء ترشد الى التزايد في التكبر حيث جاءت للمبالغة لا للطلب اذ قدمٌ الآباء على الاستكبار لان الحدث داخلي اولاً ثم ظهر خارجاً ،اذ كان آبياً مستكبراً في هذه اللحظة ،أي رفضه مصحوب بأنفة واستعلاء في آن واحد ثم يستأنف الكلام ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلكافِرِيْن﴾ ولم يقل ﴿ وكانَ كافراً﴾ كما افرد في ﴿إبى واستكبر﴾ ،فلماذا جمع كافر ولم يجمع أبى واستكبر؟ جوابه، انه عدل عن مقتضى الظاهر الى ﴿... وكانَ منَ الكافرينَ﴾ لدلالة (كان) في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها والمعنى (أبى واستكبر وكفر كفراً عميقاً في نفسه) فالمعصية هنا كفر بإعراضه على امر الله وننسفيهه أمر السجود لآدم، وليس كفر جحود لاعترافه بالربوبية[٢٠].

ب– فاصلة (القرة)واسترجاعها مع (طه):

عني القران الكريم بالانسجام لما له من تاثير كبير في السمع ووقع مؤثر في النفس،فقد جاءت آياته منتهية بفواصل منسجمة مع بعضها[٢١]. وبذلك (ساير القران الكريم طبيعة اللغة العربية وما ألفه العرب من الاهتمام بالجانب الموسيقي والسجع لما يحدثه من إيقاعٍ في الكلام)[٢٢].

فلو امعناً النظر في الفاصلة ﴿ وكانَ من الكافرين﴾ فيها عدول عن مقتضى الظاهر(وهو مايسمى في اللغة الشعرية (انزياح)* مراعاة لما تقتضيه حروف الفاصلة ايضاً وقد رتبت الاخبار الثلاثة – في البقرة– حسب ترتيب مفهومها في الوجود وذلك هو الاصل بأن يكون ترتيب الكلام مطابقاً لترتيب مدلولات جملهِ ومعانية.

لو إسترجعنا فاصلة اية البقرة :٣٤ مع فاصلة البنية الضابطة في طه:١٦٦، سنجد انه اضاف في سورة البقرة شيء جديد للبنية الرئيسية الضابطة ﴿ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾أي انه رفض باستكبار وتعالي ولم يكتف بالرفض فقط، بل صار(من الكافرين)[٢٣]أي (في علم الله تعالى صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لادم اعتقاداً بانه الافضل)[٢٤]وبذلك يكون قد أضاف معنى حكائي جديد، فهذه الجملة الحكائية متكونة من ماضي ناقص، ولكنه انصرف للدلالة على استمرارية الحال – حال إبليس وافادت التوكيد– لانه حذف الموصوف(إبليس)وابقى الصفة (من الكافرين) حيث الصق الصفة بإبليس زيادة في التوكيد على أساس انه من الكافرين امر مفروغ منه.

٦– بنية (الحجر):٣١ واسترجاعها مع(طه):١١٦.

إن آية(الحجر) نسقها كله يدور في جوٍ يعمهُ الامتناع والرفض[٢٥]،ولكن ما مدى الاختلاف على البينة الرئيسية (طه)؟ نعم ،قد تردد ذكر الفعل (أبى) ولكن في نسق جديد يختلف بعض الشيء عما سبقه في(البقرة) و(طه) اذ لم يبدأ الحديث ﴿ وإذْ قُلنا للملائكة﴾ بل قال﴿فَسَجد الملائِكَة﴾ على أساس ان الملائكة عندما أمرهم عندما أمرهم بالسجود بدون تفكير طاعوا الله وسجدوا ﴿أجمعين﴾

((الفاء)) في ((فسجد)) جاءت لربط الحدث، وأفادت الترتيب والتراخي أي إن سجودهم بدون قيد وبدون تفكير يدل على طاعتهم وامتثالهم لامر الله، امرهم.. فسجدوا طاعةً له، وتدل ايضاً هذه (الفاء) على وقوعهم في السجود فكان واجباً عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخٍ. ﴿ كلهُّ أجمعون﴾ يشير الفعل(أبى) في الاية الشريفة على إنَّ الرفض كان قوياً بلالالة التوكيد لسجود الملائكة بلفظتي﴿كل،أجمعون﴾ وبذلك يكون الفعل(أبى) أخرج إبليس من الذين أطاعوا الله و(كلهم) أزال إحتمال ان بعض الملائكة لم يسجدوا، و(أجمعون) أزال إحتمال انهم سجدوا متفرقين، وتوكيد بعد توكيد لان(أجمع)معرفة[٢٦].

هذا الاباء هنا في هذه الاية فيه(استئناف مبين لكيفية ما فيهم من إستثناء من عدم السجود لان عدم السجود قد يكون مع التردد فبَّين سبحانه انه كان على وجه الاباء على تقدير قول قائل يقول:هلاّ سجد إبليس؟ فقيل : أبى ذلك إواستكبر عنه ،وقيل معناه ولكن إبليس آبى)[٢٧].

حرف الجر مع(إن) محذوف ،وتقديره ﴿مالكَ الاّ تكونَ مَعَ الساجِدين﴾ بمعنى أي غرض لك في إبائك السجود،وأي داع لك إليه؟ لماذا قال(أبى) فقط،ولم يذكر معها(استكبر) كما في البقرة ؟ (الإباء) تدمج في معصيةٍ واحدة ثلاث معاصي: مخالفة الامر، الاستكبار،مع تحقير آدم (ع).

(الاّ)استثناء يفيد التوكيد ايضاً وبشدة ،لان الملائكة سجدوا كلهم أجمعون إلاّ ؟ لم يستجيب لطاعة الله.

﴿أبَى أن يكونَ مَعَ الساجدين﴾ أي انه رفض باستكبار،فكان من المناسب ذكر لفظة (أبى) لان السياق العام للسورة كله مبني على الرفض والامتناع[٢٨]– كما ذكرنا–

لماّ قال ﴿أبى ان يكون مَعَ الساجدين﴾ امرٌ فيه تناسق في التعبير عجيب ،وفيه مخالفة اصلية لابليس ،لان الله سبحانه وتعالى امر رسوله بان يكون مع الساجدين ﴿فسبح بحمد رَبّكَ وكُنْ مِنَ ألسَاجدِينَ﴾ فتناسب لفظة (السجود) الذي شاع في السورة أكثر من أي مكان آخر، فترددت اللفظة –لفظة السجود– بمشتقاتها ست مرات حتى ختمت بالسجود ايضاً[٢٩].

إذن هناك تناسق في فواصل الايات بالتكرار ،لان الترجيح او او الاسترجاع يحقق نوع من الترابط النصي عن طريق إعادة تكرار الجرس الصوتي نفسه من خلال إعادة اللفظ (سجد، يسجدون، ساجدين،فسجدوا).

اما المقوم الصوتي في هذا التسجيع القائم على التشابه والتعادل –التناغم، والتناسق في الفواصل) يعمل على احداث نغمة تطرب لها الاذن وتهش لها النفس، فتقبل على المعاني من غير ان يدخلها ملل او يخالطها فتور، لانه سيقوم مقام المنبه الشعوري الذي يوقظ الهمة ويحملها على المداومة في رحلة النفس للبحث عن المعاني، ومن ثم فهو عنصر تمكين للمعنى في الأذهان وعنصر إقرار له في الأفكار.

٧– بنية (البقرة والحجر) واسترجاعها مع(طه):

طه (ضابطة)	البقرة	الحجر
–وَإذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ	وَإذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ	فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ
–فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ –أبَى	–فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ – أبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ	لاَّ إبْلِيسَ أبَى أن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ

في (طه) أسند القول الى الله تعالى وكذا (البقرة)، ﴿وإذْ قلنا﴾ مضارع مستمر بينما في (الحجر) لم يسند ولم يقل﴿وإذٌ قلنا﴾ هناك حذف – او تكثيف او اختزال – عن البنية الضابطة الأساس في (طه) و(البقرة) اذ قال تعالى﴿ اسجدوا لادم﴾ بصيغة الأمر، بينما في (الحجر) اختلف النسق فقال﴿ فسَجدَ الملائكَةُ كُلُّهم أجمعَونَ﴾ حيث جاءَ بالفعل على صيغة الماضي وأكد باستمرارية السجود بتوكيده المعنوي بـ(كل، أجمعون) ولم يرد التوكيد في الآيتين السابقتين ،ولا نغفل جانب مهم ان هذه السور كلها مكية عدا (البقرة) فهي مدنية.

صيغة التوكيد التي جذبتنا هي واردة في سورة مكية وتاتي بالترتيب بعد نزول البقرة، فتخيرّ الألفاظ اصلاً يقوم على أساس النسق الذي وردت فيه الاية ،فصيغة الخطاب القراني في السور المكية يشيع فيها التوكيد، لتأكيد العقيدة الإسلامية ، فالخطاب اشد واللهجة اعلى اذ ان

طبيعة الإيقاع القصير الموجة السريع* ،والشديد، وتماثل الوزن لكي تكون اكثر استجابة لدى المتلقي ، فاختيار الألفاظ اذن يكون وفق أسلوب الحدة والاتقاد والتهويل.

كما نلاحظ في آية(البقرة):٣٤قرن الله تعالى (أبى) بالفعل (استكبر) وهذا الاباء او الرفض الداخلي (النفسي)مقرون بالاستعلاء الذي اشار اليه الفعل(استكبر) دلالة على ان التكبر صفحة ملازمة لابليس ولمن تبعه؛ يعني أضاف الى الآباء والاستكبار شيء جديد وهذا لم يحدث في سورتي (طه، الحجر) ذلك ان القصة أولياتها وتفاصيلها الدقيقة كلها مذكورة في البقرة ،حيث تبدأ القصة من أقدم حدث فيها حين بلغّ الرب ملائكته في ان يجعل في الأرض خليفة ، وذلك قبل خلق آدم (عليه السلام) ،وهذا له اكثر من دلالة فنية ،من بين جوانبها أنها وردت في المكان المناسب لها تماماً، اذ انّ أوليات القصة وردت عند اول ذكر لها في اول سورة من سور القران كما انها أول قصة افتتح فيها القصص القرآني في حين ذكرت القصة في (الأعراف) من مرحلة الخلق والتصوير ،فكأنها كانت استكمالاً لما ورد في البقرة[٣٠].

أما مسالة (الاباء ،والاستكبار والكفر) جاءت مجتمعة للدلالة على شناعة معصيته بحق آدم الذي أكرمه الله جلّ وعلا، ومعصيته لامر الله قبل كل شيء، فجمع في البتر، ماتفرق في طه والحجر وص،هذا شيء والشيء الآخر،لما كانت (طه) تتعلق بالدنيا والآخرة بخلاف(البقرة) فزاد في بناء الفعل أشارة الى زيادة متعلقة في الإحداث بتفاصيلها في سورة البقرة اكثر وهي(المدنية) فاحتاجت الى زيادة في فعل الرفض وتاصلية فجاء الاستكبار(استعلاء خارجي ظاهر) ليتناسب الرفض الداخلي والامتناع الخارجي لإبليس وتقدم الآباء على الاستكبار لكون الأول مسبباً في ظهور ووضوح الثاني[٣١].

فلفظة (الاستكبار) في البقرة تعوّض عن((كُلُّهم أجمعون)) التوكيدية للمشهد في الحجر.

الفواصل في البقرة و الحجر

البقرة ← ﴿ وكان من الكافرين﴾

الحجر ← ﴿أَن يَكونَ مَعَ السّاجدِينَ﴾

نجد في هذه الفواصل (تصوير حكائي) إذ لم يذكر منه شيء في(طه) ففي (البقرة) جاء لزيادة توكيد الاستكبار (والاباء) وفي(الحجر) جاء السجود مناسباً لنسق الاية في تردد وتكرار لفظة السجود، ،قال (كافرين) ولم يقل (كافر)لإثبات الوصف وزيادته تناسباً مع الاستكبار،فجاءت الزيادة في محلها.

ولأن إثبات الوصف لموصوف بعنوان كون الموصوف واحداً من جماعته ،تثبت لهم ذلك الوصف ادل على شدة تمكن الوصف منه مما لو اثبت له الوصف وحده ،بناء على ان الواحد يزداد تمسكاً بفعله اذا كان قد شاركه فيه جماعة، لانه بمقدار مايرى من كثرة المتلبسين بمثله –وبمثل فعله– تبعد نفسه عن التردد في سداد عملها،وهو دليل كنائي

واستعمال بلاغي جرى عليه نظم الاية، وان لم يكن يومئذ من الكافرين[٣٢] بل كان ابليس وحيداً في الكفر، وعليه جرى قوله تعالى﴿**صَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[٣٣] وقوله تعالى﴿**أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ**﴾[٣٤].

والفعل(إبى) في (الحجر) (استحق عليه إجابة من ابليس وهي ﴿**لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ**﴾ . وهذا هو المناسب للفعل (أبى) وذلك لان القول يدل على الرفض والامتناع لا على الاستكبار ،فاننا اذ قلنا (لم اكن أفعل هذا) لم يغد قولنا الاستكبار عن فعله ولكن يفيد الامتناع عنه)[٣٥].

ب– الذكر والحذف في (البقرة والحجر وطه):–

ويكون: (في القران بحسب ما يقتضيه المقام والسياق ،فاذا اقتضى المقام الذكر ذكر والاّ لم يذكر)[٣٦]، وان سأل سائل عن سبب الذكر والحذف في هذه الايات ! أي لماذا ذكر(إستكبر) في البقرة ولم يذكر ذلك في طه والحجر؟ ولما جاء بـ﴿أبى أن يكُونَ معَ السّاجِدِينَ﴾ و﴿وكانَ منَ الكافِرِينَ﴾ في البقرة والحجر دون طه؟ جاء الرد، ان الاساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبرَّ في استخدام هذا النسق من الاداء، بحيث يكون الانزياح عنه إفساداً له، فأننا نرى فيه ترك الذكر افصح من الذكر، الصمت عن الافادة أزيد للافادة ،وانطلق ما يكون اذا لم ينطق بها واتم ما يكون بياناً اذا لم يبن هذا الحذف تعوَّض عنه القرائن السائدة(الفاء، الاّ) التي تتم فاعليتها بربط هذا النسق بصياغته الفنية ،فلزوم الحذف يكون من اجل الكلام لا من حيث غرض المتكلم به، كان يكون المحذوف احد جزئي الجملة – الموصوف مثلاً إبليس صفته ﴿من الكافرين﴾ فلا بد من تقدير محذوف ،ولاسبيل الى يكون له معنى دونه.

٨– بنية (ص) :٧٤ واسترجاعها مع (طه) :١١٦.

﴿**سَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۞إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ**﴾ في قوله تعالى ﴿**فسجد الملائكة**﴾يقتضي انهم قالوا كلاماً دلّ على انهم أطاعوا الله في ما امرهم به، بل ورد في سورة (البقرة) تفصيل ما جرى من قول الملائكة فهو يبين ما أجمل هنا وان كان متاخراً اذ المقصود من سوق القصة هنا الاتعاض بكبر إبليس دون ما نشأ عن ذلك[٣٧].

لقد عرض القران الكريم في سورتي(ص) و(الحجر) جانباً واحداً من القصة وهو(ذكر معصيته إبليس وعداوته للانسان ،ولم يذكر فيهما ما يتعلق بادم ،بل لم يرد فيهما اسم ادم اصلاً) وذلك بخلاف سورتي البقرة والاعراف التي ورد فيها ذكر جانبي القصة فيما يتعلق بادم وبابليس[٣٨].

في الحجر ⟵ ﴿ الاّ ابليس أبى ﴾

في ص ⟵ ﴿ الاّ ابليس استكبر﴾

فسيكون ما في هذه الاية يبين الباحث على الاباية والامتناع ،لنلاحظ الفاصلة :

في البقرة ⟵ ﴿ واستكبر وكان من الكافرين ﴾

في ص ⟵ ﴿وإستكبر وكان من الكافرين﴾

الا نلمس التبسط في الكلام مع إبليس من خلال النبر الصوتي للنسق ! الحدث في البقرة وفي ص~ مبني على (الاستكبار) و(الاستعلاء) هذه الدقة في استعمال الادوات لبناء التركيب الذي يتكون منه النسق القراني بشكل لافت للنظر،لمَّا قال (استكبر) وكان سؤال ربّ العزة له:

﴿**إستَكبَرتَ ام كنتَ منَ العالمين**﴾[٣٩] ؟ وهذا الجواب مناسب للاستكبار وجواب إبليس يناسب ذلك الاستكبار ايضاً وهو ﴿**أَنا خيرٌ منهُ خلقْتَني منْ نَارٍ وخلَقْتهُ منْ طِينٍ**﴾[٤٠] وجوابه فيه تكبرّ واضح وجاءه الرد من الربّ الاعلى﴿**فأهبِطَ منها يكونَ لكَ أن تتكبرَّ فيها**﴾[٤١] فذكر التكبر ولم يذكر الرفض بـ(إبى).

فجوّ النسق هنا مناسب للإستكبار[٤٢]، لانه ايضاً ذكر في اول السورة ﴿ **الَّذينَ كفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**﴾[٤٣]. والمراد بالعزة ههنا: الاستكبار عن الحق وعدم الانقياد له[٤٤].

لنأتي على(ص)ونتأمل :في هذه الاية لم يذكر الفعل (أبى) كما في (طه)، وإنما دلّ المعنى عليه من خلال الفعل (أستكبر) وكان الاباء والامتناع الداخلي مفروغ منه، ولذلك أشار الى الاستكبار الظاهري للفعل (استكبر) وهذا الاستكبار صفة ملازمة لكل كافر،إذ أشار بالفعل (كان) مع ملحقاته ،وهذا الفعل كما هو معروف ليس دلالة على الماضي فقط وإنما دلالته على الماضي والحاضر والمستقبل المستمر،فصفه إبليس ومن تبعه تبقى التكبر كما كانت في سابق عهدها وستلازمهم الى يوم القيامة، يعني ان الرفض موجود أولاً وهو اوجد الاستكبار هنا، اما لردققنا النظر في:-

البقرة ⟵ وكان من الكافرين﴾

الحجر ⟵ ِأبى أن يكون مع الساجدين﴾

ص ⟵ ﴿وكان من الكافرين﴾

لوجدنا هذه الفواصل هي عبارة عن(بنى متناظرة) متماثلة متشاكلة، كلها تبيّن الاباية- او الرفض- من ان ابليس لم يكن من الساجدين، وبما إنه لم يكن من الساجدين إذن هو من الكافرين ،أي انها تحمل المضمون نفسه(الاباية والامتناع) هذا الاسترجاع للمشهد وهذا التريد للجرس الصوتي الا يعمل على ربط المشهد بطريقة متلاحمة الاجزاء محبوكةٍ بفن،بحيث لا يمكن تفكيك أجزاء الحدث، فيكون منبهاً صوتياً يعمل على اعادة المعنى الى ذهن المتلقي كلما تعُدَ او كادَ يَبعُد.

لنأتي الى فاصلة ص:٧٤ ﴿**وكان من الكافرين**﴾معناه إنه كان كافراً ساعتئذ،أي ساعة إبائه من السجود ولم يكن قبل كافراً، ففعل(كان) الذي وقع في هذا الكلام حكاية لكفره الواقع في ذلك الوقت[٤٥]. (كان)جارً على باب سائر الافعال الماضية إلاّ إنَّ فيه إخبار عن الحالة فيما مضى .

فإذا قلنا مثلاً : ﴿كان زيد عالماً﴾،فقد انبانا عن ان حالته فيما مضى من الدهر هكذا، وان قلنا(سيكون عالماً) فقد انبأنا عن ان حالة علمه ستقع فيما يستقبل من الزمان،فهما عبارتان عن الافعال والاحوال وكذا الحال في ابليس، فقد بدت من ابليس أن نزعته كامنة في جبلته وهي نزعة الكبر والعصيان ولم تكن تظهر منه قبل ذلك،لان الملأ الذي كانَ معهم كانوا على أكمل حسن الخلقة،فلم يكن فهم مثير لما سكن في نفسه من طبع الكبر والعصيان؛ فلما طرأ على ذلك الملأ مخلوق جديد وامر أهل الملا الأعلى بتعظيمه كان ذلك موريا زناد الكبر في نفس إبليس، فنشأ عنه الكفر بالله وعصيان امره[٤٦].

ووجه كونه من الكافرين إنه امتنع من طاعة الله جلّ جلاله امتناع طعن في حكمة الله وعلمه ،وذلك كفرٌ لامحالة ،وليس كإمتناع أحد من أداء الفرائض ان لم يجحد أما(إستكبر) فهناك مناسبة لاشتقاقات اللفظ،فقد تكرر ذكرها كما في قوله فيما بعد﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾[٤٧] وهذا هو المناسب للاستكبار. أما الفرائن السائدة (الإلف)و(ام) ،فقد قال عنها سيبويه: ((أنهما متعادلتان ،ففي قولنا: أضربت زيداً ام قتلته،فالبدء هنا بالفعل أحسن ،لانك أنما تسال عن احدهما لاتدري أيهما كان ولاتسال عن موضع احدهما كأنك قلت: أي ذلك كان))[٤٨] فعادل (الهمزة)بـ(ام).

البنى المتناظرة في(الحجر) و(ص):

ص	
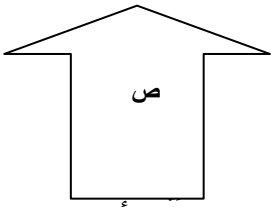	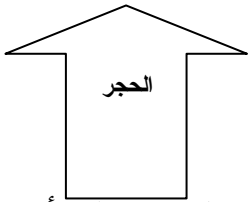
فَسَجدَ الملائكة كلّهم أجمعون	أ– فسجد الملائكة كلهم أجمعون
وَكانَ مِنَ ألكافِرينَ	ب– اَن يَكُون مَعَ ألسَاجِدينَ

س

هذا التناظر، الا يتطابق مع دلالات البنى التركيبية في المشهد القراني؟ حيث إن هذه البنيات الهندسية المتناظرة الى حدّ الانسجام التام كونت بانسجامها نسقاً جمالياً تتوازى فيه البنيات في الشكل والترتيب،وكل بنية تؤدي وظائفها بأجزاتها المتسقة باطار التتابع(التكرار) الذي يتولد عنه الإيقاع الخاص المنبعث من رؤية الأشكال الخارجية الدالة والمتضامنة في وحدة مدلول كله يتجسد مع الاحداثي – في الرسم–أ.

أما في الاحداثي (ب) نلاحظ ان التغير يدخل في جزء من بنيةٍ ما بحدود نسق معين فينتج (التحويل)الجزئي في الشكل مما يطلق عليه (المغايرة المشابهة) فالجزء المتحول في بنيةٍ ما من مبنى النسق او المحذوف او المضاف يغير بقدرٍ معين في تكوين الشكل ،ويمارس وظيفة جديدة في مدلولٍ جديد مختلف عما كانت عليه الهيأة السابقة للبنية في هذه البنى التركيبية المتحولة بإطار التكرار او التردد باسلوب سردي مروي من منظور الهي لاعجب ان نلمس (الأعجاز) بالبنى المتناظرة تلك .

٩- بنية الإسراء: ٦١ واسترجاعاتها مع(طه)

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

تكررت بنية هذا النسق القراني في﴿ **إِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ**﴾ بنفس التماثل والتشاكل في سورة(طه، البقرة، الكهف)؛ اذ يظهر لنا جلياً في هذه الاية واحداً من سلوك الاستكبار الناتج عن السلوك الداخلي،فمعنى الرفض فيها ناتج عن طريق الاستفهام الافكاري وتعجب﴿ أَأَسجدُ﴾، وهذا الاستفهام يدل على التكبر الذي تغلغل في نفس ابليس،كما اننا نفهم منه نوع من الاستهزاء بالمخلوق(آدم) واستصغار(ابليس) له لذلك يستهزى بتهكم،لانه يرى نفسه اكبر فلا يحق السجود له؛ (وبين قوله(أأسجد) وما قبله كلام محذوف وكان تقديره : قال لِمَ لَمْ تسجدُ لادم، فقال: أأسجد!)[٤٩].

في هذه البنية يتعرض لاول مرة لذكر جواب ابليس او ردّة ،فصّرح بالفعل (قال) صراحةً، في حين ان البنى السابقة كان يصرح بجوابه ضمناً، وذلك لان صورة الاستهزاء والتهكم التي اعطتها هذه الدلالة استدعت مجي فعل يدلل على رد ابليس وجوابه الانكاري التهكمي بنفس الفاعلية، فقد ارتبط بالمستمر وجاء به ليوضح الحالة التي وقع فيها المشهد وساعدنا على استحضار الصورة حتى كأننا نشاهدها عن قرب.

(طينا)هي حال من اسجد[٥٠]، اصل الكلام: أأسجد له وهو طين؟ أي اصله من الطين لانه خُلِقَ من اديم الارض لذلك سمي آدم[٥١].

ويكون بذلك تقدير الكلام : أأسجد لمن كان في وقت خلقه طين؟ ، ان المعنى يفهم النسق القراني في ككل اكثر مما يفهم من الوحدات الصريحة التي تؤلفه، أي ان النسق او السياق العام قد يعطي المدلولات التي يمكن ان تجزا بشكل بسيط الى وحدة معينة .هذا النسق العام يعطي الشكل التركيبي للعبارة بحيث يكون هناك تفاعلاً اكيداً بينهما ،وكلما أتيحت لنا بدقة رصد الأنساق القرآنية التي تحيط بالإبداع كلما استطعنا تفهم الكثير من العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام ،وعلاقة واحدة كعلاقة الحذف يجب ان تفهم في ضوء مجموع العلاقات الاخرى المقابلة لها كالذكر.

وليس من المحتم ان تكون سياقات الذكر عكس سياقات الحذف بل إنهما قد يتواردان في سياق واحد ما دام هذا السياق في حاجة اليهما.

وفي التعبير القرآني(قد يحذف حرفاً او يذكره او يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف ،كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال)[٥٢] فنسق أية (الإسراء) حذف منها (آبى) و(استكبر) ولم يرد ذكر اللفظتين ،ولكن بالمقابل أضاف وذكر بنى تركيبية أخرى جديدة على مبدا حكائي فيه تفصيل لمشهد قراني وهو ﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾،فتحول البنية من صغية الماضي الغائب الى صيغة الحاضر المخاطب هذا التحول في البنية الجديدة يعدّ عاملاً لتطرية الكلام وسبباً في إيقاظ السامع وانشاط إصغائه.

أ– خواتيم سور (الاسراء ، البقرة ، طه)

﴿ وكانَ منَ الكافرين ﴾ ⟵ البقرة :٣٤.

﴿ وكانَ منَ الجنَ ففَسقَ عَنْ أَمرِ ربَّه﴾ ⟵ الكهف:٥٠.

﴿قَالَ أأسْجُدُ لِمنْ خَلَقتَ طِينَا ﴾ ⟵ الاسراء :٦١.

لو قابلنا –مثلاً بين بنى اخرى مثل(البقرة والكهف) مع بنية (الاسراء) لوجدنا– في فواصل تلك الايات– تحول الكلام من الغيبة الى الخطاب، ومن الخطاب الى الغيبة، وهذا اجراءاً تعبيرياً، يُضمَّنْ الكلام قبولاً عند المتلقي لانه يرتفع به في مراتب البلاغة، لانه متى اختص بفائدة تثري المعنى كساه رونقاً ،واورث السامع نشاطاً، واوجد عنده من القبول ارفع منزلةً؛ إذن هذا الانزياح في النسق القراني من الماضي الى المضارع القصد منه حكاية الحال التي يقع فيها اثارة وتستحضر من خلالها الصورة الدالة على القدرة الربانية .

من ذلك نصل الى بنية (الإسراء) نفس بنية (طه) التي اعتبرناها ضابطة في تكثيف المشهد القرآني ،ولكن في الإسراء أضاف الى البنية الرئيسية التي هي﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ**﴾ ﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً**﴾.

البناء الصوتي لفاصلة الاسراء :٦١

عني القران الكريم بالانسجام لما له من تاثير كبير في السمع ووقع مؤثر في النفس،فقد جاءت اياته البينات منتهية بفواصل منسجمة مع بعضها[٥٣]. وبذلك ساير القران الكريم طبيعة اللغة العربية وما الفه العرب من الاهتمام بالجانب الموسيقي في الكلام لما يحدثه من ايقاع فقد وجد الأدباء في فواصل الآيات تلاؤماً وانسجاماً صويتاً لايرقى اليه أي كلام آخر وهذا من أوجه الاعجاز[٥٤].

لو تأملنا فاصلة الإسراء ﴿..أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينـاً﴾ هنا (أأسجد)) لهذا الاستفهام قوة احتجاجية كبيرة تتضمن الرفض و الاستكبار والاستنكار ساهمت(الهمزة) في تكوين ايقاع مستمر فيه شدة في النبر حيث اسهمت في تشكيل المشهد بصورة جديدة(٥٥).

ان أصوات الحروف التي تكونت فيها جزئيات البينة المضافة الجديدة الاستفهامية (الحكائية) الاستنكارية ،نجد جواب إبليس الصريح قد غلبت عليه الشدة والجهر بالقول والانفتاح بالكلام مع الله تعالى ،بطريقة استنكارية استهزائية ،تؤكد معصيته لله وعدم تقبل الامر- امر السجود لادم- هذا الانفتاح الذي تجسد في (الهمزة، الالف ،السين، الجيم، الدال) و(الطاء، الياء ،النون، الإلف) يوحي باستمرار المعصية ويؤكد إثباته على موقفه العاص ، بل ان الصغير الذي يحدث في صوت(السين) أأسجد يؤكد مدى إستهزئته ،فسين الاستهزاء صورة متماثلة ومطابقة للسين التي تالف ضمنها لفظة(إستهزاء).

وهذه القلقة في صوت (الدال) تؤكد قلقلة وضع ابليس وتحركه وعدم ثباته وتذبذبه في وضعهِ ،فمشهد الاستهزاء هذا وكانه يتحرك ويتقلقل باهتزاز بياناً لشدة تهكلمه واستهزائه واستكاره لنتابع الصوت من خلال هذا الرسم :

قال(٥٦) أأ سـ ـجُـ ـدُ لـ ـمِـ ـنَ خَـ ـلَقْـ ـتَ طـ ـيـ ـنا

أ أ	س	ج	د	خ	ل	ق	ط	ي	ن	أ
جهر شدة استفالة انفتاح أصمات	همس رخاوة استقالة انفتاح اصمات صفير	جهر شدة ستفالة انفتاح اصمات	جهر شدة استقالة انفتاح قلقلة	همس رخاوة استعلاء انفتاح اصمات	جهر رخاوة استقالة انفتاح اذلاق انحرف	جهـــر شدة انفتاح استعلاء اصمات قلقلة	جهر شدة استعلاء إطباق اصمات قلقلة	رخاوة جهر انفتاح استقالة اصمات	جهر رخاوة استقالة انفتاح اذلاق	جهر شدة استقالة انفتاح اصمات

ان تساوق الصور السمعية مع بعضها أي ربط دلالة الكلمة بصوتها، يخرج بالمعنى غنياً مؤثراً،اذ يعمل ايقاع الحروف على رسم تصور ذهني كامل للمعنى ويعطي افهاماً اكبراً للمشهد. ذلك لان لجرس اللفظة ووقع تاليف اصوات حروفها وحركاتها على الاذن دوراً هاماً في اثارة الانفعال المناسب ،كما ان له ايحاءاً نفسياً خاصاً لدى مخيلة المتلقي والمتكلم على حدٍ سواء ؛ فالقران الكريم يختار ادق الاصوات ليضع كلاً في موضعه وهذا هو الإعجاز(٥٧).

من ذلك نستشف ان حذفه لبنية معينة واضافة اخرى جديدة اعطى المشهد القراني تميز جديد لهذا التكرار وذلك التردد،فجاء المشهد مسترجع بصورته الجديدة التي لايمل السامع على تعدادها وتكرارها، بل اعطى تصوراً ذهنياً اكبر للمشهد واضاف معلومة جديدة ان ابليس رفض واستكبر وعطى واستنكر واستهزأ وكفر.

١١- بنية الأعراف واسترجاعاتها:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾:١١.

ابتدأت القصة من مرحلة الخلق والتصوير ،فكأنها كانت إستكمالاً لما ورد من أحداث في (البقر)[٥٨]. البنى التركيبية للنسق القرآني هنا تذكر من البداية ايجاد النوع اولاً ،وبنعمة تفضيله ،ذلك بان امرَ الملائكة بالسجود له ،ولكن ادمج في هذا الامتنان تنبيه وايقاظ الى عداوة الشيطان للانسان منذ الأزل ،ليكون ذلك تمهيداً للتحذير من وسوسته وتضليله واغرائه بالإقلاع عمّا اوقع فيه الناس من الضلالة ،وهو غرض السورة،(فما اليق هذا الاستدلال بظاهريته لترتيب الامر بالسجود لادم على خلقنا، وتصويرنا والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متاخر عن خلق ادم)[٥٩] هناك ماهو لافت للنظر في هذه القصة،ذلك ان الامر بالسجود كان قبل خلق ادم[٦٠] (عليه السلام)ذلك من قوله تعالى :**﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾**[٦١] وذلك لتعيين وقت السجدة المامور بها ،قيل والحاصل انه سبحانه امرهم اولاً امراً معلقاً ثم امرهم ثانياً امراً منجزاً مطابقاً للامر السابق لذا جعله حكاية له[٦٢].

ان جملة ﴿وَلَمَ يَكَنْ مِنَ ٱلساجِدِينَ﴾ حال من ابليس ،وهي حال مؤكدة لعاملها،وهو ما دلت عليه ادوات الاستثناء وفي الاية اشارة الى ان الله تعالى خلق في نفس ابليس جبلة تدفعه الى العصيان عندما لايوافق الامر هواه،وجعل له هوىً ورأياً فكانت جبلته مخالفة لجبلة الملائكة ،ولما امر بالسجود ظهر خلف عصيانه الكامن فيه،وقد علن انه (ابى السجود) وذلك تمهيداً لحكاية السؤال ،والجواب في قوله تعالى : **﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾** ؟[٦٣].

ودلالة النسق القرآني في (الأعراف) توضح ان الرفض للسجود من إبليس قد دل عليه الاستثناء المتصل، ولكن بعد رفضه وتكبره على ما أمر به أصبح ليس من الملائكة ،وبذلك لم يذكر الفعلين(آبى واستكبر) كما ورد في(طه) و(البقرة).

أ-القرائن الساندة في نسق الاعراف:

نلاحظ ان الخطاب بلفظ الجمع وهو يريد ادم) كما تقول: ضربناكم ،وانما ضربت سيدهم[٦٤]؛ وتاكيد الخبر تم بـ(اللام) و(قد) في ﴿ولقد خلقناكم﴾ وتعديه فعلي الخلق والتصوير الى ضمير المخاطبين، خلقنا أصلكم ثم صورناه،وهو ادم .

<u>الخلق</u>[٦٥] : (ايجاد وابراز الشيء الى الوجود) ،وهذا الاطلاق هو المراد منه عند اسناده الى الله تعالى او وصف الله (جل جلاله) به.

<u>التصوير</u>[٦٦](جعل الشيء صورة) ،والصورة الشكل الذي يشكل به الجسم كما يشكل الطين بصورة نوعٍ من الانواع .

ثم*: لترتيب الاخبار بالتراخي ،الخلق اولاً، والتصوير ثانياً،والمعنى يحتاج الى توجيه أي خلقناكم يابني ادم مضفاً غير مصورةّ ثم صورناكم يابني ادم بشق السمع والبصر ،ثم صورناكم في ارحام امهاتكم(٦٧) .

إذ تعلق فعل الخلق والتصوير بضمير المخاطبين،فالمراد منه أصل نوعهم الأول وهو (ادم) بقرينه تعقبه بقوله ﴿ **ثمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ**﴾ ،اذ وقع أيجاز في نسج الكلام .

وربّ سأئل يسال ،ترى لمن هذا الاستنطاق والاستشهاد ؟ وجوابه أنما(لأرواحنا اذ لم تكن الأبدان حينئذٍ موجودة)(٦٨).

ومن القرائن الساندة (إلفاء) في(فَسَجدوَا) ومعناها هنا(التسبب وذلك غالب في عطف الجمل،نحو قولك: سها فسجد وزنى فرجم وسرق فقطع، ولدلالتها على ذلك استعيرت للربط في جواب الشرط نحو من ياتي فاني أكرمه)(٦٩).

ومن خلال تساوق تلك القرائن قادتنا الى الرفض الذي إشار أليه الفعل (أبى) والتي هي:

(الاستثناء)، (من) الزائدة التي دخلت على ((الساجدين)) مما اكد المعنى انه قد مال الى الرفض والامتناع والاستكبار، فجاءت هذه المعاني ضمنياً دون تصريح بها على أساس انه أصبح امر مفرغ منه. هذا وان لكل بناء تركيبي مكانه ،أي انه لم يذكر فعلي (الإباء،والاستكبار) هنا واكتفى بالإشارة اليه فقط ،لان (الأعراف) اصلاً واقعة في سلسلة العقوبات وغضب الرب(٧٠) وعوضت عنه التوكيدات والقرائن الدالة عليه؛ فالتوكيد هنا اشد، فاقتضى ذلك أن يؤتي مثلاً(لا) الزائدة (أَلاتسجد إذ أمرتك)) ؟ لانه بدا القصة بـ (ولقد خلقناكم و(اللام) و(قد) مؤكد ان، وهي قسم مقدر، والقسم توكيد.

ان مقام السخط والغضب يتطلب جعل الكلام على أوج صوره وباقصر التعابير فلكل مقامٍ مقال، لذا انطوت تحت هذا النسق بنية الرفض والاستكبار والعصيان ضمناً.

ب/ التناسب بين خواتيم سور (البقرة، ص، الحجر، الأعراف)

البقرة ﴿ وكَانَ مِن ألكافِرين﴾

ص ⟵ ﴿ وكَانَ مِنَ الكافرينَ﴾

الحجر ﴿ أبى أنْ يكونَ مَعَ الساجدينَ﴾

الأعراف ⟵ مْ يَكُنْ مِنَ ألسَاجدين﴾

لو بحثنا في هذا التناظر في البنى التركيبية لفواصل الآيات التي ورد فيها المشهد ألقراني باسترجاعاته ،لوجدنا ان هناك تناسق موسيقي وإيقاعي بما غلب على أصوات الحروف من جهر وشدة وانفتاح واستفالة توحي انه مستمرا بإبائه واستكباره للسجود واستمراره بالمعصية .

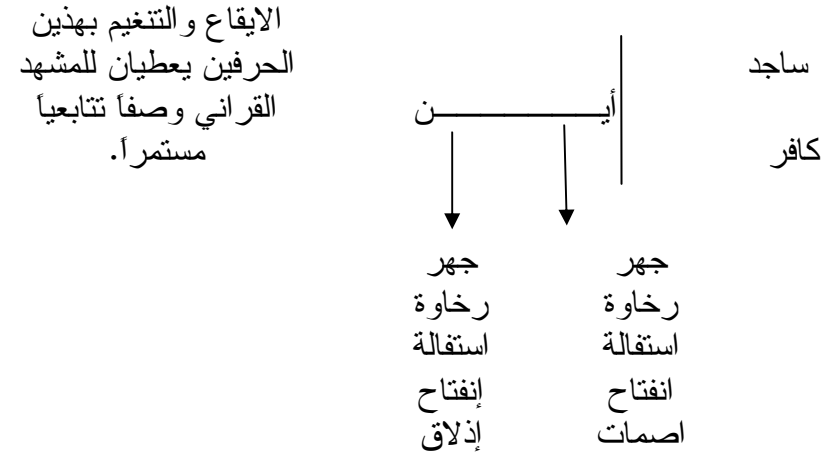

ليس ذلك فحسب ،فانظر كيف(يراعي في اختيار اللفظة اوجهاً متعددة ،كل وجه يقتضيها من ناحية وينادي عليها بحيث تكون اللفظة كأنها مصوغة لهذا الموضع او ان الموضع كانما اعدّ اعداداً لتحلَّ فيه)[٧١]. اذ قال الله تعالى في الاعراف ﴿ **فسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ**﴾ وقال فيها ايضاً ﴿**فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها**﴾ وقال في خاتمة السورة ﴿**أَنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾فناسب بين القصة وخاتمة السورة ،ذلك انه نفى عن ملائكته التكبر واثبت لهم السجود بخلاف إبليس الذي اثبت له التكبر ونفى عنه السجود وقال جلّ وعلا في (البقرة)– في ابليس– ﴿ **وكان من الكافرين**﴾وقال في خاتمة السورة ﴿**فَأَنُصرنا على القَوم ألكافِرين**﴾فلاءَمَ بينَ القصة وخاتمة السورة، كما فعل في الأعراف[٧٢].

اما من ناحية البناء الصوتي لتلك الفواصل فهناك (توازي صوتي) كثف دلالة هول المشهد بما فيه من تحدي لله تعالى من (أباء واستكبار) بإيقاع تتابعي،انتج توافق في الايقاع وتماثل صوتي وقع على فواصل هذه الايات بحيث ان الكمية الصوتية متساوية في الايات الأربع، مما يوحي بالتالي الى تتابع الأحداث وتسلسلها ،أي انّ إبليس ﴿ابى ان يسجد﴾ثم (استكبر) ثم كان من الكافرين العاصين. وتوالي (الإيقاع الفرينيمي*) – الصوتي والمقطعي– على الفواصل أعطى انسجاماً بينهما اثر في النفس،غرضه احالة الملتقي الى إيحاءات لامتناهية في تخيل وتصور المشهد(صورة وصوت). كذلك ما لاحظناه على التوازن المقطعي أعطى انسجاماً لوقع وتسلسل الاحداث وتتابعها ايضاً أي انه رفض ،ثم استكبر ،ثم لم يسجد ،ثم كان كافراً.

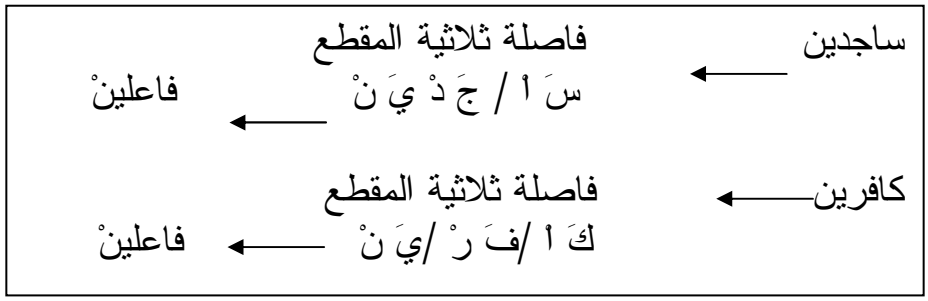

وهناك تناسب منتهى الدقة في الفاصلتين فلاهما ثلاثية المقطع وكلاهما تطابقتا من حيث الحركة والسكون،كما اتسقت تلك الأصوات مع معانيها اتساقاً عجيباً فأعطى كل حرفٍ مكانه الذي ورد فيه تصوراً كاملاً عن الحدث.

١٢- بنية(الكهف):٥٠ واسترجاعها مع(طه) :١١٦.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾الكهف: ٥٠.

نجد في هذا النسق مقارنةً بالبنية الضابطة (طه) إضافات جديدة للخطاب القرآني ،بنى تركيبية فيها تفصيل وسرد وفيها رسالة تحذيرية لبنى البشر من إبليس يتمثل في قوله تعالى:﴿كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ﴾ الى قوله : ﴿بِئْسَ للظالّمينِ بَدَلاً﴾ ،في هذه الاية يتضح الرفض لسجود ابليس ،ذلك لانه خارج عن امر ربه بمعصيته اذن هو فاسق وكل فاسق كافر وما دامت هذه صفته فإنه سيكون مبعداً عما طلب منه الله، وهذا واضح لنا بان الامر محسوم ،فكل فاسق لايؤمّل منه خير ؛ كل ذلك دلّلت عليه(الفاء) فهي للتسبيب ، اذ ان كونه من الجن سبباً في فسقه لانه لو كان ملكاً كسائر من سجد لم يفسق عن امر ربه لثبوت عصمة الملائكة[٧٣].

وفي قوله تعالى ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنّ﴾كلام مستأنف جارٍ مجرى التعليل بعد إستثناء إبليس من الساجدين ،كأن قائلاً يقول : ما له لم يسجد؟ فقيل : ﴿كان من الجن ففسق عن امر ربه﴾أي خرج عن طاعته دون حياء فإن الفسق هو الخروج[٧٤]، فإنه لمَّا امر ،فعصى ،كان سبب فسقه هو ذلك الأمر ولولا ذلك الأمر الشاق لما حصل ذلك الفسق ،فهذا حسنَ ان يقال فسق عن أمر ربه، وقيل هو على حذف المضاف، أي فسق عن ترك امره[٧٥].

إسلوب التعجب الذي جهر به بشدة في النسق جاء بالهمزة التي تفيد الإنكار والتعجب ،حيث عجب مِن حال مَنْ أطاع إبليس في الكفر والمعاصي وخالف امر الله فقال: (افتتخذونه) حيث تعمد الله تعالى لصيانه الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم ، كأنه قيل، اعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلوني به[٧٦]؟ حاشا الله تعالى من ذلك،والسر في الالتفات الذي في قوله: ﴿ من دوني﴾ فلم يقل: من دوننا على سياق قوله:﴿ وإذ قلنا﴾ ليزيد في وضوح القبح، كما انه السر ايضاً في الالتفات السابق في قوله﴿ عن أمر ربه﴾ ولم يقل عن امرنا)[٧٧]

أ. فاصلة الكهف : ٥٠

﴿بِئْسَ للظالّمينَ بَدَلا﴾ أي بئس البدل من الله إبليس لمن استبدل لإطاعه بدل طاعته لله[٧٨] في الآية دلالة على انه لايريد الكفر ولايخلقه في العبد والاَّ لمْ يصح هذا الذم والتوبيخ وقيل إنّ الداعي لكفار قريش الى ترك دين محمد(ﷺ) هذا العجب والترفع والتكبر شأنه شأن ابليس ومن

تبعه، فكل من كان غرضه من العلم او العمل (الفخر) على القران والترفع على أبناء الزمان فانه مقتدٍ بابليس وذريته[٧٩]، وهذا مقامٌ صعب نسأل الله تعالى الخلاص والنجاة منه.

هذا التفصيل والحكاية في هذه البنية بالذات أزاد الصورة قدرةً ايحائية وإمعاناً في لفت الأنظار الى فسوق إبليس ،وتخدير من يتبعه في الفسق والمعصية.

لم يذكر الفعل (ابى) او (استكبر) على اساس ان هذا الاباء والاستكبار مفرغ منه، وقد حصل وانتهى فانطوى تحت بنية الفعل (فسق) من إباية واستعلاء ومعصية،فحذف بنى تركيبية ولو جزئية يقابله اضافة بنى جديدة تتضمن معنى البنى المحذوفة بزيادة .

اما الفاصلة التي انتهت بها(الاية) اختلفت عن الفواصل في الايات التي سلفت اذا جاءت ملائمة للنسق الذي وردت فيه حيث يحرص القران على الاتيان بالالفاظ مع ما يلائمها ،فنبرة التعجب والاستفهام تحتاج الى شيء مدوّي يصرخ في اذان الكافرين لينبهم عن غفلتهم ويعرفهم بعاقبتهم ومآلم ،فجاء بتوعد للظالمين على هذا البدل.

هذا النسق الجديد بعث في النص صفة التجدد والحيوية فاوحى بمشهد جديد وكأننا نراه ونسمعه لاول مرة رغم انه ورد ست مرات في مواضع متفرقة من القران العظيم، ورغم ان الدلالة في المرات السبع واحدة للمشهد نفسه واحد، يتكرر ،ولكن في كل مرة بحلة جديدة مختلفة عن سابقتها،هذا التكرار الذي لايمل السامع منه ولا من هذا التردد، والاسترجاع للمشهد القراني الواحد، هل سببه التغير في اصوات الحروف ومعانيها – للبنى التركيبية والنسق ككل– على اعتبار اننا نسمع فقط ولم نشاهد المشهد حقيقة!..هذا ما سنقف عنده في دراسة الفاصلة صوتياً

ب. البناء الصوتي لفاصلة (الكهف): ٥٠

((بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا))

أذلاق	جهر	همس	جهر	جهر	جهر	جهر	جهر	جهر	جهر
قلقلة	شدة	رخاوة	رخاوة	رخاوة	رخاوة	رخاوة	رخاوة	رخاوة	شدة
	استفالة	استفالة	استفالة	استعلاء	استفالة	انفتاح	استفالة	استفالة	استفالة
	انفتاح	انفتاح	انفتاح	اطباق	انفتاح	استفالة	انفتاح	انفتاح	انفتاح
	اصمات	اصمات	انحراف	اصمات	اذلاق	اصمات	اذلاق	قلقلة	اذلاق	اصمات
		صفير	إذلاق						

لاحظ هذه الموسيقى الإيقاعية المتساقه مع حكائية النسق وكأنه صوت تصوري للمشهد، فقد اعتدنا على السور المكية التي إتسمت بإيقاعها القصير الموجه والفواصل ذات التوافق

بالتوافق الايقاعي بتماثلها في الوزن لكن ،هنا في هذه السورة المكية جاء الايقاع طويل الموجة متماشياً مع طول السرد الحكائي في مشهد الحوار القراني، هذا النغم المميز أعطانا إيصالاً للمعنى بصورة اسرع واكبر وادق.

وتلك الحروف التي ائتلفت منها الفاصلة واليت جاءت بايقاع مجهود شديد للهجة ،فيه انفتاح لزمن العقاب للذين ظلموا أنفسهم ،وذلك الأصحات في بعض الحروف (الهمزة، السين، الظاء، الياء، الدال، الألف)[٨٠] توحي بصورة الصمت الذي سيطبق على الظالمين بعد تنفيذ العقوبة لإتباعهم إبليس؛ أما(بئس) بحد ذاتها اعطت صورة سمعية تصورية لهذا المشهد فقد منحته التهويل والتهيب لعقاب الظالمين بما فيه من صوت صفير وكان نذيرٌ لوخامة العاقبة.

إذن هذه الاضافات للبنية ،أعطت للنص سمة موقعيه جديدة ،فأخذت الألفاظ موقعها الذي يمنحها قيمتها الدلالية لان موقع اللفظ في النص مطابق للمعنى المعبر عنه في الذهن ومطابق بل متماشي ومتشاكل مع اصوات الحروف وصورة المشهد، فجاء هذا النسج بأكمل اوجه المعنى لغةً وتركيباً وصرفاً وصوتاً.

وربّ سأئل يسال لماذا التفصيل والذكر في هذه البنية بالذات اكثر من باقي الايات – البنى المتحولة–؟وجواب ذلك يكون ان هذا راجع الى اتساع دائرة العبارة بكل جزئياتها الدلالية فقدم لنا النسق، الكثير من العبارات لاحتياج الناس الى هذا التفصيل لفهم العاقبة، فهذه رسالة تحذيرية –كما ذكرت مسبقاً. وهذه الرسالة احتاجت الى بيان ،والبيان لايكون الا بالإشباع ،والشفاء لايقع الا بالإقناع وأفضل الكلام أبينه ،وابينه أشدة إحاطة بالمعاني ولايحاط بها الا بالاستقصاء فمن غير الممكن ان تصل الرسالة الى المتلقي دون احاطةً وفهماً ولايتاتى ذلك بالإيجاز او الحذف ،فالنسق هنا احتاج الى توضيح وتفسير وتفضيل وهذه مزية الاعجاز القرآني بأنه يستعمل أفصح الالفاظ باحسن المواقع متضمنةً اسلم المعاني وأعلى الوجوه دلالةً.

١٣– بين الاعراف و الكهف وطه

ان سجود الملائكة ترتب على الامر التنحيزي الوارد بعد ان خلقه ونفخ فيه الروح،وهو الذي يشهد له العقل والنقل، الا ان ما في (الحجر) وما في (ص) تستدعي ظاهراً ترتبه على ما فيها من الامر التعليتقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير الخلق وتوابعه،وحمَّل ما في تلك الايات من الأمر على حكاية الأمر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالاً،فانه حينئذٍ يكون في حكم التنجيز[٨١].

طه	–	واذ قلنا للملائكة	إسجدوا لادم	فسَجدوا	إلاّ إبليس	أبى
الكهف	–	واذ قلنا للملائكة	إسجدوا لادم	فسَجدوا	إلاّ إبليس	كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدوُ بئس للظالمين بدلاً
الاعراف	ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم	قلنا للملائكة	اسجدوا لادم	فسجدوا	إلاّ ابليس	لم يكن من الساجدين

ومن خلال ذلك المخطط – يتضح جلياً في (طه)ايجاز وتكثيف للمشهد القراني وانتهى بقولى (ابى) ،في (الاعراف) عوضّ عن ذكر (أبى) ببنية جديدة تتضمن معنى الاباء وهي ﴿ لَمْ يكن مِنَ الساجدين﴾ اما في (الكهف) اضافة حكاية جديدة فيها سرد وتفصيل لمشهد قراني وسردي طوى تحت الفعل (فسق) امر الاباء والاستكبار والمعصية وهو ﴿ كانَ مِنَ الجنَّ فَفَسقَ﴾ ،وفي (الاعراف) قياساً بـ(طه والكهف) اضاف شيئاً جديداً هو قبل القول للملائكة، اذ بدأ بتصوير المشهد من مرحلة سابقة وهي مرحلة الخلق والتصوير وهذا ناسب السياق او الجو العام للسورة، حيث ان النسق العام يفصح عن كيفية التعامل مع البنى الجزئية ومدى فاعليتها، وأوضحنا ذلك كلٌ في مقامه من تفسير هذه الايات؛ ولكن في (الأعراف) لم يذكر(ابى) ولا(استكبر) وأضاف فاصلة (لم يكن من الساجدين) والتي طوت تحت تركيبتها الإباء والاستكبار والاستعلاء.

١٤– بين طه و ص:

طه	واذ قلنا للملائكة	إسجدوا لادم	فسَجدوا	إلاّ إبليس	أبى	–
ص	–	فسجد الملائكة	كلهم اجمعون	الاّ ابليس	استكبر	وكان من الكافرين

في البنية الجديدة(ص) اضاف صيغة التوكيد المعنوي (كلهم اجمعون) واضاف بديل مغاير عن الفعل (ابى) استبدلها بـ﴿ استكبر﴾ فإضافة القرينة افادت التوكيد في الاباء والاستعلاء ،اما الفاصلة فقد كانت اضافة صوتية للنسق ﴿كان من الكافرين﴾ ابانةً لذلك . ومما يجب لفت النظر اليه ان فاصلة (ص) وفاصلة (الأعراف) فيهما مماثلة صوتية وتناظر في البنى التركيبية وتساوق بالعبارة والمعنى، وتناغم موسيقي تصويري وكانما الاولى جاءت نتيجة للثانية ،أي انه لم يسجد اذن هو كافر لما فيه من انفة واستعلاء واباية لاحظ :

ص ←﴿ وكان من الكافرين﴾

الأعراف ←﴿لم يكن من الساجدين﴾

١٥- طه والإسراء والكهف :

طه	**واذ قلنا للملائكة**	**إسجدو لادم**	**فسَجدوا**	**إلاّ إبليس**	**أبى**	**-**
الاسراء	**واذ قلنا للملائكة**	**اسجدو لادم**	**فسجدوا**	**الاّ ابليس**	**-**	**قال أأسجد لمن خلقت طينا**
الكهف	**واذ قلنا للملائكة**	**اسجدوالادم**	**فسجدوا**	**الاّ ابليس**	**-**	**كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدوٌ بئس للظالمِنَ بدلاً**

البنية الضابطة (طه) حوت الفعل (ابى) اما (الاسراء) و(الكهف) فان النسق – نسق بنيتها- متماثل ومتطابق في البنى التركيبية الاساس مع (طه) الاّ في الاباء ،فلم تحوِ كل منهما على فعل (الاباء والاستكبار) ،بل اضاف بنى جديدة حلّت محل ما حذف من بنى سردية حكائية مبنية على مبدأ الحوار القراني ، فكانت في (الإسراء) ﴿ **قال أأسجد لمن خلقت طينا**﴾هذه البنية الاستفهامية التي أكدت بهمزئي الاستفهام وتضمنت الاستنكار والاستهزاء والاستهانة من السجود[٨٢] ،فكانت رد ابليس هنا صريح من خلال الفعل (قال) هذا الجهر والشدة في الخطاب وفي الاستفهام يوحي بمدى رفضه واستكباره لما امر به . اما في (الكهف) فان السرد اطول وهي من اكثر الإضافات قياساً ببا في البنى –كما اسلفنا- فهي اشبه بحكاية او رواية عن ابليس حيث اكدّ انه كان من الجن ففسق عن امر ربه أي عصى واستكبر ولم يندم على هذا الاستعلاء وهذا الرفض[٨٣] ،اذ يلقي على مسامع الناس رسالة تحذيرية ممن يتبع ابليس ويهدد ويتوعد الظالمين الذين ظلموا انفسهم في الفعل (بئس) فهذا النبر الخطابي المجهور الشديد اللهجة قد عوضّ عماّ خُذف مسبقاً فكان تكرار يأتي بجديد وكل تردد يضيف حكاية مكانه او حدث يضاف إلى المشهد القرآني الرئيس .

اذن هذه الإضافات الجديدة في العناصر التركيبية هي تعويضات أعجازيه للبنية الأولى في أسلوب سردي مستقل بذاته .

ترى لو ابقي الفعل (أبى) في (الإسراء) و(الكهف) ،لما أعطى هذا السرد الحكائي الذي فيه توضيح وإبانه للمشهد بصورة أدق واشمل، فأضاف هذه البنى الجديدة ليجعل النسق أكثر واستقصاء لتفاصيل المشهد والإحداث الداخلة فيه.والتردد أساساً يقوم على التنوع في نمط الأسلوب ،فلو جاء بـ(أبى) لحذف بالمقابل في الإضافة ،ولو حذفت الإضافة لكان النسق نفسه مكرر، والتكرار بدون تغير في الأسلوب يضفي الملالة على السامع وحاشا الله المعجز كتابه ان تكون هذه سمته فهو كتاب امة.

كل ذلك نجده بالرؤى المختلفة للمشاهد القرانية للفعل (أبى) اذ كل مرة نراه من زاوية جديدة فيها تساوق وتماثل عجيب؛ لاحظ :

طه	**واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الإ أبليس**	**أبى**	**–**
البقرة	**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا إلاّ ابليس**	**ابى واستكبر**	**وكان من الكافرين**
الحجر	**فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلاّ ابليس**	**أبى**	**ان يكون مع الساجدين**

وما هو لافت للنظر حقاً انه جاء في كل الآيات (طه، البقرة ،الحجر، ص، الإسراء ، الأعراف ،الكهف) بالفظة السجود)– بالذات – والتي تكررت في كل البنى المتحولة دون ذكر الركوع،لان (السجود) هو راس العبادة والتضرع والتوسل والتذلل الى العزيز الجبار جلَّ في علاه وهو اقرب ما يكون العبد الى الله من الركوع فقربّ الاقرب وبدا به وقدّمه وان كان في الاصل الركوع اولاً ثم السجود بالاسبقية[٨٤]، فجاء بالأعم والاشمل والأقرب لله تعالى ،لذلك حذف الركوع الذي هو اقل رتبه من التذلل واستغنى عنه.

الخاتمة

- في البنية الضابطة (طه) جاء بالإيجاز والتكثيف، مما ادعانا الى الارتكاز عليها كبنية ضابطة أساسية، وكل الاسترجاعات والترددات في باقي الآيات تعود اليها باضافة لفظة او لفظتين او حكاية، هذا الايجاز والتكثيف منح المعنى قدراً كبيراً من التعظيم في النفوس ،لان الشيء اذا لم يكن معلوماً من كل جهاته اكتب شيئاً من الفخامة وحلَّ في النفوس محلاً عظيماً واذ عظم شأن المعنى في النفوس كان اثره فيها كبيراً ولان الخيال بطبيعته يميل الى تصوّر المجهول بهيأةٍ اكبر من صورته الحقيقية ،ذلك لما له ما إثارة في نفس المتلقي ،فتحمله على انواع من الانفعالات كالتعظيم والتفخيم والتهويل والترهيب .. وغيرها، فاضفى هذا الباب من ايجاز وحذف مجالات رحبة لتتخيل اشكال العقاب والوانه ،فاضفى على ذلك بعداً نفسياً تمثل بالمبالغة والاستفهام على العاقبة – للتهويل.

شيء آخر، ان هذا الايجاز هو عامل من عوامل المحافظة على نشاط السامع في تعامله مع المعاني ،فيبعد السأم عن النفوس فيكون النسق حينئذٍ اكثر قدرة على الاثارة الذهنية

والاستعداد النفسي لتقبل المعاني ،لان للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال صار سبباً الى الملال ،وحاشا القران ذلك .

- لم تحذف القرائن (الفاء ،الاّ) في جميع الانسياق التي ورد ذكرها، وفي ذلك بعدٌ كبير، اذ عملت هذه القرائن على اشراك المتلقي في تصوير المعاني المقصودة مستعيناً بها لتقربه من تلك المعاني وتحصره في جهات محدودة ،فلولا وجود (الاَ) اصلاً لنسف المعنى تماماً ولتغير حال هذه البنية التي استوقفتنا طويلاً.
- تكرار (إذْ) في بعض البنى جاءت اربع مرات في كل من (طه، البقرة، الاسراء، الكهف) دون الايات الباقية، فلو حذِفت من البنى التركيبية التي وردت فيها والتي اضافت لها خصوصية المباغتة ،لتغيرت الدلالة الى الماضي ،وكأن المعلومة معروفة لدينا مسبقاً ، ولنسيق المعنى الحقيقي الذي طوته وحوته هذهِ البنى.
- ان تركيب الكلمات هو الذي يعطي لكل جزيئية اهميتها في السياق، وهو امر لم ينتبه له الكثير بشكل مباشر، فالسياق لايتعبر الكلمة لقطة بدء- كما يظن- وإنما العكس هو الصحيح ،فالسياق او النسق القرآني على وجه الخصوص هو نقطة البدء ،بحيث لايمكن وجود كيان للتعبير الا من خلاله وحنيئذٍ من الواجب رصد الأنساق اولاً، ثم البحث عن الألفاظ وعلاقاتها فيه ثانياً، أي ان النسق العام للسورة ككل هو الذي يعطينا الاضاءات متفردة في تعاملنا مع تلك البنى على هذا الاساس.
- أن دلالة اللفظ لاتتحكم بها الفاصلة كما تحكمت بها المعاني الإضافية واقتضاها البعد البياني في استيعاب المرادف ووجوهه المختلفة وجوانبه كافة، وذلك من دلائل الأعجاز القرآني في جمعه بين الصيغة الجمالية للشكل والدلالة الإيحائية في المعنى.
- هناك تناسق عجيب وملحوظ بين الصور، فهي متطابقة ،ولكن بإضافات جديدة في كل مرة ،فيها دقة بالتقابل لغةً وتركيباً وجرساً،لذلك جاءت المعاني موحية بصوتها وجرسها للمعنى المراد تصويره .
- سمة السياق التعبيرية دعت الى تقدم (ثم) وتأخر(الفاء) في سورة (الأعراف) ومن الطريف والعجيب أن تقدم (ثم) على (الفاء) في (الأعراف)فقط، لأنها حيثما ترد في القران نجدها تقدم(الفاء) على (ثم) مثل(هود:٥٥) و(البقرة:١١٥)(الشعراء:٦٣-٦٤)،(التكوير: ١٥-٢١).

هوامش البحث

(١)ينظر–أضواء البيان: ٤/ ١٠٦.

(٢) السجود نوعان سجود عبادة وهو خاص بالله تعالى وحده وسجود طاعة واحترام وتقدير وهو المقصود هنا، ومثال ذلك ماورد في رؤيا نبي الله يوسف (عليه السلام) عندما قال : (رايتهم لي ساجدين) وغيرها.

(٣)يظهر هذا التكريم من خلال ذكر استخلاف ادم في الارض : ((اني جاعل في الارض خليفة) فالمستخلف ذو منزلة رفيعة ولاشك ،كما يظهر تكريم ادم بتعليمه الأسماء كلها مما لايعلمه الملائكة، وفي اسجاد الملائكة له، راجع : التعبير القراني ، د. فاضل السامرائي :٢٨٧.

(٤)الكشاف :٣/ ٩١، وينظر –معجم الادوات النحوية (الهمزة) دراسة اسلوبية : ١٥٠/١.

(٥)ينظر –الكشاف :٣/٩١-٩٢.

(٦) ينظر –المصدر نفسه :٣/٩٢.

(٧) التفسير البيضاوي :١/٤٩٤.

(٨) تفسير القران العظيم –ابن كثير:١/١٠٧.

(٩) ينظر –الجامع لاحكام البيان –القرطبي :١/٢٨٤-٢٨٥.

(١٠) المصدر نفسه :١/٢٨٦.

(١١) راجع – أضواء البيان :٣/٢٩٠.

(١٢) الجامع لأحكام البيان :١/٢٨٧، ويقول القرطبي /وفريق آخر عدَّ الاستثناء هنا(متصل) على أساس انه كان من الملائكة ثم أبليس أي عند معصيته لله فغضب عليه فلعنه فصار شيطاناً،راجع – التسهيل لعلوم التنزيل :١/٤٤، وينظر أضواء البيان في تفسير القران :٣/٢٨٩- ٢٩٠.

(١٣) ينظر الجامع لاحكام البيان :١/٢٨٧.

(١٤) الأعراف :١٢.

(١٥) ينظر –تفسير البيضاوي :١/٤٩٤.

(١٦) ينظر –تفسير الطبري: مج١، ١/٢٩٦، وقيل ان ابليس ابلس من الخير كله وجعله الله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته وكان اسمه الحارث وانما سمي ابليس حين ابلس فقيراً ،راجع المصدر نفسه .

(١٧) راجع الجامع لاحكام البيان : ١/ ٢٨٨ وما بعدها .

(١٨) ينظر تفسير البيضاوي :مج ١، ١/ ٤٩٤، ٤/٧٣.

(١٩) راجع – المصدر نفسه :٢٣/ ١٨٤.

(٢٠) ينظر – التسهيل لعلوم التنزيل : ١/٤٤.

(٢١) ينظر –التعبير القراني :١٩٥.

(٢٢) البلاغة والمعنى في النص القراني ، د. حامد عبد الهادي حسين : ١٨٠.

(٢٣) ينظر ،تفسير ابي السعود:١/٨٩، وينظر –تفسير القران العظيم – ابن كثير: ١/١٠٩- ١١١.

(٢٤) تفسير البيضاوي : ١/٤٩٤.

(٢٥) ينظر – التعبير القراني : ٣٠٥

(٢٦) ينظر – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير :٣/١٣٠.

(٢٧) المصدر نفسه :٣/١٣٠٩.

(٢٨) ينظر- التعبير القراني :٣٠٥.

(٢٩) ينظر- المصدر نفسه :٣٠٧.

(٣٠) ينظر- التعبير القراني :٢٨٦.

(٣١) راجع تفسير القران العظيم :١/ ١٠٧-١٠٨.

(32) ينظر – التعبير القراني :٣٠٤، وما بعدها .

(٣٣) سورة النمل :٢٧.

(٣٤) السورة ،نفسها :٤١.

(٣٥) التعبير القراني :٣٠٥.

(٣٦) من أسرار البيان القراني ،د. فاضل السامرائي :٩٠.

(٣٧) ينظر تفسير البحر المحيط :٣٩/٧.

(٣٨) ينظر العبير القرآني :٣٠٢- ٣٠٣.

(٣٩) سورة ص:٧٥.

(٤٠) سورة ص:٧٦.

(٤١) سورة الأعراف :١٣.

(٤٢) ينظر –التفسير القراني :٣٠٥.

(٤٣) سورة ص :٢.

(44) راجع –صفوة التفاسير :مج٣،ص٥٠

(45) ينظر- تفسير البحر المحيط :٣٩٠/٧.

(46) ينظر –تفسير الطبري :١٨٤/٢٣.

(47) سورة ص:٧٥.

(48) تفسير البحر المحيط:٣٩٠/٧.

(49) ينظر تفسير البحر المحيط :٥٤/٦.

(50) ينظر – تفسير الطبري :١١٦/١٥.

(51) ينظر – أضواء البيان :٣/ ١٦٦.

(52) التعبير القرآني :٧٥.

(53) ينظر – التعبير القراني :١٩٥.

(54) ينظر- البلاغة والمعنى في النص القراني ،د. حامد عبد الهادي حسين:١٨٠.

(٥٥) ينظر- اضواء البيان :١٦٦/٣.

(٥٦) راجع القول في القران الكريم (دراسة لغوية ونحوية) .احمد ابراهيم ،ط١، بغداد،٢٠٠٢م: ٤٠-٦٠.

(٥٧) ينظر المصدر نفسه:١٠.

(٥٨) ينظر التعبير القراني :٣٠٢ وما بعدها .

(٥٩) الروح :١٧٦/١.

(٦٠) ينظر المصدر نفسه :١٥٦/١.

(٦١) الحجر: ٢٩.

(٦٢) ينظر – اضواء البيان في تفسير القران بالقران :٣/ ٢٨٩.

(٦٣) ينظر– الكشاف:١٤٥/٢.
(٦٤) ينظر – الروح :١٧٦/١.
(٦٥) راجع لسان العرب :١/ مادة (خَلَقَ)
(٦٦) راجع المصدر نفسه :٨/ مادة (صورَّ)
(٦٧) ينظر – الروح :١٧٦/١.
(٦٨) – المصدر نفسه / ١٥٦/١.
(٦٩) – شرح قطر الندى : ١/ ٣٠٣.
(٧٠) – ينظر – التعبير القرآني : ٢٩٨.
(٧١) التعبير القراني : ٢٩٤.
(٧٢) – ينظر التعبير القراني :٢٩٤.
(٧٣)– ينظر – الكشاف :٧١/٣.
(74) ينظر –تفسير القران الكريم لابن كثير:١٢٣/٣
(٧٥) – ينظر الكشاف : ٧١/٣.
(٧٦) ينظر – الكاشف : ٧١/٣.
(٧٧) الميزان في تفسير القرآن:٣٢٢/١٣.
(78)ينظر – الكاشف : ٧١/٣.
(٧٩) راجع –مختصر تفسير الميزان : ٣٥٦.
(٨٠) – ينظر– الصوت اللغوي في القران :٨٦– ٨٨.
(81)راجع –الميزان في تفسير القران :٢٨/٨
(82) راجع –صفوة التفاسير :١٦٦/٢
(٨٣) المصدر نفسه، ١٩٤/٢
(٨٤) راجع – الجامع للأحكام البيان:٢٨٤/١، وما بعدها

قائمة المصادر والمراجع

١– البلاغة والمعنى في النص القرآني (تفسير آبي السعود انموذجاً) د. حامد عبد الهادي حسين، طبع في مطبعة الهيئة أدارة الوقف السني العراق – بغداد .
٢– التسهيل لعلوم التنزيل ،محمد بن احمد بن محمد الغرناطي الكلبي،دار الكتاب العربي،لبنان ،١٩٨٣م،ط٤.
٣– التعبير القرآني،د. فاضل السامرائي،دار عمار،ط٥، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧ه، عمان الأردن.
٤– الجامع لأحكام البيان – للقرطبي ابي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي،تحقيق: احمد عبد العليم البردوني،ط٣، مصورة عن ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٣٨٤هـ– ١٩٦٥م.
٥– الروح في الكلام على أرواح الأموات والإحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي: ابو عبدالله ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٧٥م.
٦– الصوت اللغوي ، احمد مختار عمر ،١٩٧٦.
٧– الصوت اللغوي في القران ،د. محمد حسين علي الصغير ،دار المؤرخ العربي ، بيروت – لبنان ،ط١، ٢٠٠٠م.

٨- أضواء البيان في إيضاح القران بالقران ،محمد الأمين بن محمد المختار، الجكني الشنتيطي ،مكتبة العلوم والحكم ،المدينة المنورة ،الإيداع ،١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م .
٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ،جار الله بن عمر الزمخشري(ت٥٢٨هـ) القاهرة ،ط٢، ١٩٥٣.
١٠- القول في القران الكريم (دراسة لغوية ونحوية)،احمد ابراهيم ، ط١،بغداد،٢٠٠٥م.
١١- بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ،ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري ،دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ،ط١٩٨٦،١م.
١٢- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،٢٠٠١،ط١، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرون .
١٣- تفسير ابي السعود – أرشاد العقل السليم الى مزيا الكتاب الكريم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،د. ت.
١٤- تفسير البيضاوي، تأليف البيضاوي،دار الفكر ،بيروت،د.تز
١٥- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل أي القران)محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، ابو جعفر،دار الفكر،بيروت،١٤٠٥هـ.
١٦- تفسير القران العظيم ،عماد الدين ابو الفداء إسماعيل،ت ٧٧٤هـ، ابن كثير،دار الجبل،بيروت ،د.ت.
١٧- دراسة الصوت اللغوي ،د. احمد مختار عمر،١٩٧٦م.
١٨- شرح قطر الندى وبل الصدى،ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري،القاهرة،١٣٨٣هـ، ط١١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
١٩- صفوة التفاسير ،تاليف –محمد علي الصابوني،دار القلم ،مكتبة جدة، ط٥،بيروت- لبنان ،د.ت.
٢٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ،محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني،ط١، مطبعة مصطفى البالي الحلبي وأولاده بمصر،١٣٤٩هـ.
٢١- لسان العرب ، للعلامة ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (طبعة جديدة محققه) دار صادر، بيروت،ط١، ٢٠٠٠م.
٢٢- مختصر تفسير الميزان الطباطبائي، ترتيب مصطفى شاكر،مطبعة نور الهدى، ابران-ط٣،٢٠٠٥م.
٢٣- معجم الأدوات النحوية (الهمزة) دراسة أسلوبية،سمير بسيوني،مكتبة الأيمان بالمنصورة ،ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢٤- معجم إعراب ألفاظ القران الكريم،قدم له مفتي الديار المصرية، د.محمد سيد طنطاوي،راجعه الشيخ محمد فهيم ابو عتبه، مكتبة لبنان ،د. ت.
٢٥- من أسرار البيان القرآني ،د. فاضل صالح السامرائي،ط١، دار الفكر ،عمان،٢٠٠٩م.
٢٦- الميزان في تفسير القران ،للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي،منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت- لبنان،ط١،محققه ،١٤١٧هـ-١٩٩٧م.